مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية
Available online at https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/65

ر ت م د: 1112-685x
ر ت م د إ: 2588-2236

المجلد: 13 / العدد: 02 / ديسمبر 2020
ص ص: 137 ـ 153

تجليات النستولوجية وظواهرها في شعر فاروق جويدة

A study of the Effects of Nostalgia in the Faruq Jowaydah's Poems

علي خضري *
جامعة خليج فارس
بوشهر/ إيران
Alikhezri@pgu.ac.ir

منيره حمدي
جامعة خليج فارس
بوشهر/ إيران

تاريخ الارسال: 2019/12/07 تاريخ القبول: 2020/11/10 تاريخ النشر: 2020/12/31

الملخص:

النستولوجيّة أو الحنين إلى الماضي، هي كلمة دخلت من علم النفس إلى الأدب. قِدَم النستولوجيّة يعود إلى قدم المجتمع البشري وتنبع دائماً من قلق الشاعر ومخاوفه حول القضايا المختلفة. فهذا الشَعر في بعض الأحيان هو حلو وأحياناً يكون مريراً ومخيباً للآمال. فالشاعر يتحدّث آسفاً عن فشل رغباته وأقاربه والوضع الحالي للوطن. فاروق جويدة الذي شهد جو غير لائق من المجتمع والفقر وبؤس الناس، قد قام بتصوير هذه القضايا في قصائده مع نوع من الأسف والمرارة على مدى الماضي.

يحاول هذا البحث دراسة مظاهر النستولوجيّة في قصائد الشاعر المصري المعاصر فاروق جويدة، باستخدام المنهج الوصفي- التحليلي. من أهم مكونات الحنين إلى الماضي في قصائده يمكن الإشارة إلى ذكرى الذكريات السعيدة الماضية والحبّ والابتعاد عن المعشوق والمدينة المثاليّة والنستولوجيّة السياسيّة والحنين إلى الشيخوخة وهلمّ جرّا. تظهر النتائج أنّ الحب والوطن يعدّان من أبرز موضوعات النستولوجيّة الجديرة بالملاحظة في قصائده. هو يبدو أحياناً عاشقاً ومولعاً لعشيقته ويبدو أحياناً قوميّاً إسلاميّاً يعاني عن معاناة الوطن. قد أنشد جويدة أشعاره بلغة واضحة بسيطة. هو لا يعبّر عن آرائه ومعتقداته بشكل صريح إلا عندما يتحدّث عن الأوضاع السياسيّة في البلد.

الكلمات المفتاحية: الشعر العربي المعاصر، النستولوجيّة، مصر، فاروق جويدة، حبّ الوطن.

Abstract:

Undoubtedly, ***Faruq Jowaydah*** is one of the most famous poets in the field of contemporary Arabic language & literature which his effect

* المؤلف المرسل.

of magical words, unique poetry style and his critic & productive meanings have made his then writers & poets surprised. Therefore, this has caused his personality dimensions and aspects of his poetry to be investigated in many respects, so that libertarian & patriotic poet with a sensitive and painful senses has brought forth the tremendous & dulcet works which are valuable & worthwhile. Of his works, the subject in his studies remained neglected is nostalgia in his poetry. Using the descriptive – analytical method, the author tries to study the nostalgic effects during the , Faruq Jowaydah's poems- the Egyptian contemporary poet. The most important parts of nostalgia (which are found in his poems) include: reminder of the good past memories, love & separation from beloved, idealism, political nostalgia & ageing sadness and so on. Findings show that love & homeland are the most noteworthy nostalgic topics in his poems. Sometimes he is in love with his beloved and sometimes he appeared as Islamic nationalist who suffers from separation & sorrow of his homeland. Also, his poems are expressed in a plain & simple way. Only when he talks about political situation of his country, explains his own beliefs and views freely and expressively.

Key words: Contemporary Arabic poetry, Egypt, Nostalogic, love of homeland, Faruq Jowaydah.

مقدمـة:

النستولوجيّة تعدّ من الظواهر الإنسانيّة التي لا تختصّ بأيّ تأريخ أو مجتمعٍ، بل كانت في جميع العصور القديمة والجديدة وقد تأثّرت بها كلّ الأمم والثقافات. إنّ الظلم السياسي والاقتصادي الذي يفرضه الحكّام على أممهم، له دور كبير في التعبير عن هذه الحالات النفسيّة التي يُعبَّر عنها في معظم الحالات مع التلهّف والأسف عن الماضي. وقد تمتّع العديد من الأدباء والكتّاب بهذه التجربة لأنّ النستولوجيّة في كثير من الأحيان تعكس الأوضاع الاجتماعيّة للمجتمع. إنّ النستولوجيّة تكون مليئة بالعاطفة الحقيقيّة والحزن العميق والشفقة ومصدره يكون قلباً مؤلماً متحمساً للأسرة والوطن والأصدقاء وكلّ ما ينتمي إليها، فهو يوقظ هذا الشعور في جوانح الشاعر.

الشاعر المصري المعاصر فاروق جويدة هو من هؤلاء الشعراء الكبار وله دواوين متعددة. فأشعاره مليئة بالأسف على وطنه الماضي لأسباب كثيرة، مثل انعدام الحريّة، والصراع السياسي والفقر الاقتصادي، وعدم الرضا عن الحالة الراهنة لأرضه. فهو قد

اختصّ جزءاً من مضمون شعره بالأفكار النستولوجيّة. هذا الشاعر بنوعٍ ما هو غير راض عن الوضع الحالي، ويودّ ماضيه اللطيف. فلذلك يتّخذ شعره طابع التلهّف على الأيام الماضية، ذكرى الأعزاء، الابتعاد عن الحبيب والنستولوجيّة السياسيّة ومكافحة الاستعمار. قد عبّر الشاعر عن الشعور النستولوجيّة مع مودّة منفعلة للاهتمام والمسؤوليّة تجاه وطنه ودول عربيّة أخرى. فهو كثيراً ما أعرب عن أسفه في شعره لروعة بلاده وعظمته والأراضي العربيّة الأخرى. فسبب اهتمامنا ورغبتنا بهذا الموضوع بطبيعة الحال هو وليد حبّنا لأشعار جويدة التي تأتي من قلبه المشتعل.

أسئلة البحث:

وهكذا، في هذا البحث، نحاول الإجابة عن بعض الأسئلة، أهمّها:

- ما هي العوامل المؤثرة في إنشاء مكوّنات النستولوجيّة في أشعار فاروق جويدة؟
- ما هو أهمّ تجليّات النستولوجيّة ومكوّناتها في أشعار فاروق جويدة؟

خلفيّة البحث:

النستولوجيّة هي من الموضوعات التي حظيت باهتمام في الأدب العربي، وهناك عديد من الكتّاب والباحثين الذين قاموا بمعالجة هذه المسألة في العالم العربي بأنحائه منها رسالة الاغتراب في شعر أبي العلاء المعري، للكاتبة حياة بوعافية، ألّفتها سنة 2009 م في «جامعة بوضياف» في «المسيلة» بالجزائر. قامت فيها الكاتبة بتعريف الحنين ثمّ شرحت المفاهيم الموجودة في شعر أبي العلاء فتطرّقت إلى الدلائل التي أدّت إلى إنشاء الشعور النستولوجيّة في شعر الشاعرة. ورسالة تجربة الغربة والحنين في شعر ابن خفاجة الأندلسي في جامعة «منتوري» في «قسنطينة» الجزائر، هي ما ألفتها الكاتبة فتيحة دخموش التي أشارت إلى الحنين إلى المكان والزمان للشاعر والحنين في الشعر العربي بشكل عام وفي الشعر الأندلسي بشكل خاص وعبّرت عن كآبة الشاعر وحنينه بالنسبة إلى الماضي. وقد وصفت المؤلفة أهمّ الخصائص الفنيّة واللغويّة والموسيقيّة في شعر ابن خفاجة.

من الأبحاث المدروسة حول شعر فاروق جويدة يمكن الإشارة إلى رسالة: الاتجاه القومي في شعر فاروق جويدة، أثر علي اسماعيل درويش، التي ألفت سنة، 2009 م. في جامعة «الأزهر». إنّ الكاتب في هذه الرسالة قام بمعالجة نسبة مساهمة جويدة الأدبيّة في المجالات القوميّة والسياسيّة والاجتماعيّة والدينيّة والثقافيّة المصريّة، وكذلك دعمه

للقضيّة الفلسطينيّة وعدوانه الواضح والصريح لإسرائيل، كما قام بتبيين الصور الشعريّة ورموز هذه الأشعار وموسيقاها.

كما رأينا هناك أبحاث كثيرة حول جويدة ولكن هذه الأبحاث على الرغم من قيمتها وفائدتها لم تتطرّق إلى جانب النستولوجيّة في شعر هذا الشاعر على وجه التحديد. فهذا البحث هو أوّل بحث يعالج جانب النستولوجيّة في أشعار هذا الشاعر.

I/ نبذة عن حياة الشاعر:

إنّ جويدة ولد في اليوم العاشر من شهر يناير سنة 1945 م. في محافظة كفرشيخ في مصر. بعد الانتهاء من دراسته الابتدائيّة، بدأ دراساته الأكاديميّة في قسم الصحافة في كليّة الآداب، وتخرّج فيه عام 1968م. ومنذ ذلك الحين، دخل الشاعر مجال الصحافة كعضو في الهيئة التحريريّة في القسم الاقتصادي لصحيفة "الأهرام". وكان أيضاً عضواً في اتّحاد الصحفيين، واتّفاقيّة الكتاب، ورئيس ورشة الشعر في المجلس الأعلى للثقافة.

وقد لعب جويدة دوراً نشيطاً في العديد من المهرجانات الشعريّة الدوليّة وقدّم العديد من المؤتمرات في مختلف الجامعات العربيّة.[1] فمن بين آثاره يمكن الإشارة إلى: «آخر ليالي الحلم»، «دائما أنت بقلبي»، «شيء سيبقى بيننا»، «لأنّي أحبّك»، «كانت لنا.. أوطان»، «لن أبيع العمر»، «ويبقى الحب»، «وللأشواق عودة»، «زمان القهر.. علمني»، «أعاتب فيك عمري» و .... فبعض منها ترجم باللغة الإنجليزيّة والفرنسيّة و... .[2]

II/ النستولوجيّة ومعناها اللغوي والاصطلاحي:

النستولوجيّة: (*Nostalgia*) حزن وألم الغربة، وجع الفراق والابتعاد عن الحبيب (*Nostalgic*) مصاب بالغربة والحسرة والفراق.[3] النستولوجيّة هي: الحزن والحنين تجاه الماضي، والحاجة المفرطة للعودة إلى الماضي، والشعور بالأسف والحنين إلى الوطن والأسرة وأيّام الطفولة السعيدة، والأوضاع السياسيّة، الاقتصاديّة والدينيّة الماضية و[4]... «إنّ النستولوجيّة دخلت من علم النفس إلى الأدب وهي في الدراسات الأدبيّة، تطلق على أسلوب في الكتابة الذي على أساسه يرسم الشاعر أو المؤلف في قصيدته أو كتاباته ما يتذكّر من ماضيه أو أرض ذكراها في قلبه، مؤسفاً ومؤلماً».[5]

النستولوجية من الوجهة النفسيّة هي تعدّ شعوراً طبيعيّاً عامّاً وحتّى فطريّاً بين جميع البشر وتتعزّز عندما يبتعد الشخص عن ماضيه المثالي ولا يرى الحاضر موافقاً لما

يريد. لذلك يمكن أن نعدّ النستولوجيّة حلماً أو أملاً تنبع من الفترة الرائعة مع السلطة في الماضي. عندما يواجه الشخص عقبات وصعوبات في حياته ولا يجد وسيلة للفرار منها في الحياة الحقيقيّة، فلديه رغبة الماضي الذي عاش فيه عيشة راضية ورائعة. [6] إن الاضطرابات الاقتصاديّة، وانعدام الحريّة، والحكم الاستبدادي، وفقر المجتمع، وعدم رضا الشاعر بأرضه، هي من العوامل المؤثّرة على خلق الشعور النستولوجيّة في الشاعر.

III/ أهم مظاهر النستولوجيّة في شعر فاروق جويدة:

1/ الحسرة على الأيّام الماضية:

كل إنسان مع ماضيه دائماً فهو جزء لا يتجزأ من هويته، والشاعر في هذا الأمر لا يستثنى ولا يمكن للشاعر أن يتخلّى عن ماضيه إذا هاجر من ضغوط الحرب والصراع القومي والنزاعات القوميّة...، للوصول إلى وضع أفضل. فهو يعبّر عمّا كان يعيش فيه ومعه في شعره بنوع من الأسف، لا سيّما الوطن، الإخوة، ذكريّات الطفولة والحداثة، القرية أو المدينة التي يحتفل فيها، فقصائده تظهر حنينه وشغفه. «بعض الناس، قبل مغادرتهم الوطن، لا يدركون ما يوقظهم الحنين من المعاناة في قلوبهم الغريبة؛ ولكن بعد اختيار الحنين، إنّ آلام الماضي وذكريّاته اللطيفة والسيئة كلّها تحبس الشاعر وتعذبه».[7]

من العوامل المهمّة للجوء إلى الماضي هو عدم الرضا عن الوضع الحالي. إنّ الشعراء بعد الابتعاد عن وطنهم المثالي يعبّرون عن ماضيهم اللامع والزاهر في أشعارهم مع الحسرة والأسف. «عدم الرضا عن الوضع الراهن واللجوء إلى الذكريّات الماضية يجعل الإنسان أن يرسم بخياله، صورةً نموذجيّة ومثاليّةً لماضيه في ذهنه».[8] فـجويدة هو من هؤلاء الشعراء الذين توجد في أشعارهم ذكريّات الأيّام الماضية بغزارة. فيعبّر عنها بحسرة وأسف. هو لأجل الأوضاع المضطربة الحالية في الدول العربيّة، يقوم بوصف ذكريّات الأيّام السعيدة الماضية في قصيدته: «رسالة الى صلاح الدين»، عندما انتشرت الأراضي العربيّة الشاسعة من شام إلى السودان، وكانت لها حضارات عظيمة من بينها لبنان وفلسطين وبغداد وحلب وعمان و ...:

وَطنٌ بلون الصُّبح كان
يَمتدُّ مِن صوتِ المؤذِّن
في ربوع الشام.. للسودان

يَنسابُ فوقَ ضفاف دجلة ينتشي فيها
ويَرقصُ في رُبا لبنان[9]

يشير ابن خلدون إلى القوميّة بكلمة "العصبيّة". إنّه يعرّف العصبيّة بروح التضامن وبرأيه الهدف من العصبيّة هو: الدعم، الدفاع، مطالبة الحقوق، وكلّ ما يجتمع لها. الناس الذين ليس لديهم العصبيّة لايستطيعون أن يفعلوا أيّ شيء[10]. إميل ناصيف يتحدّث عن هذا قائلاً: «الشعر الّذي ينشد حول القضايا والمشاكل السياسيّة والاجتماعيّة للوطن هو في الواقع شعـر يرسـم حبّ الإنسـان وميلـه للوطن وسكّانـه. فيكـون هـذا الشعر نوعاً من استقبـال ومظهر تطلعـات المواطنين وطموحاتهـم التي تتجسّـد في ضمير الشاعـر. هذا النوع من الأدب، يتم إنشاؤه خاصة في حالة وقوع الحوادث في الوطن، وله أنـواع كثيرة: الأشعار التي توجد فيها حزن الشاعر للوطن. عندما الشاعر، بسبب كونه بعيداً عن الوطن، يكون فخوراً بوطنه وتاريخه وشعبه في أشعاره؛ وأيضاً فرع من هذا النوع من الشعر يرتبط بالوقت الذي تضرّ فيه الأحداث غير المواتية بالوطن، ويدعو الشاعر مواطنيه إلى الدفاع عن أرضهم وعن كرامة وطنهم».[11]

فجويدة مثل عديد من زملائه اندمجت العصبيّة بلحمه ودمه، إلى حدٍّ أنّ الوطن العربي له قيمة أكثر من نفسه وحياته عنده.

2/ نستولوجيّة تذكر الأحبّاء:

ممّا لا شكّ فيه أنّ الإنسان عزيز عليه أن يرى فقدان أحبائه، مثل؛ الأب والأم والأخ والزوجة. يعكس الكتّاب والشعراء والفنّانون ألم فراق هؤلاء الأحباء في آثارهم. فجويدة هو أيضاً حزين جدّاً لفراق أبيه وأمّه وحبيبته. وفي العديد من قصائده يتذّكر هؤلاء الثلاثة مع الحزن الشديد.

أ/ تذكّر الأب:

إنّ "الأب" أو "الوالد"، كلمة جميلة تخرج منها معان عالية نحو: العفو، التضحية، الحميميّة والاعتماد أو الدعم. إنّ الآية الثامنة من سورة العنكبوت والآية الرابعة عشر من سورة لقمان والآية الخامسة عشر من سورة الأحقاف تكفينا لإدراك مكانة الأب والأم العالية، عندما أمر الله تعالى الإنسان بالتلطف مع الوالدين واستحسانهما وأن لا يعطهما أي إهانة وانتهاك.

فاروق جويده في كثير من قصائده تذكر أباه وجعله أسوة لنفسه في حياته. الأب المتديّن الذي تذكر في قصائده صلواته وقراءة قرآنه في السحور. هو عبّر عن نصائح أبيه بموسيقى حزينة جدّاً وجعل هذه النصائح أمام عيونه دائماً لكي تكون دواءً على آلامه في صعوبات الحياة. يعتمد العديد من النقاد على هذا، ويعتقدون أنّه هناك علاقة أساسيّة بين خلق الصورة الشعريّة وإثارة العاطفة للشاعر.[12] كلّما يذكر الشاعر اسم الأب كأنّه معه وهما يتكلّمان معاً، صوت الأب اللطيف يداعب آذانه، فيشعر وجود الأب تماماً:

وبعثت تعتب يا أبي!
وغضبت منّي بعدما
تاهت خطاي.. عن الحسينْ ...
لِمَ لا تجيء لكي ترى
كيف الضميرُ يموت في قلبِ الرجلْ؟
لِمَ لمْ تعلمني الحياةَ معى الذئابْ؟![13]

إنّ موضوع القصيدة يظهر لنا من اسمها. إنّ جويدة يقدّم شكواه إلى أبيه من عصره ووقته. إنّ في العصر الّذي يعيش فيه الشاعر أصبحت القيم الإنسانيّة قليلة وصبغتها قليلة، والبشر لا يرحمون بعضهم بعضاً لأنّ لديهم مظهر الإنسان فقط، فضمائرهم تعارض مع مظاهر البعض وهو محزن من فظائع الرجال والنساء في وقته فهذه الفظائع تكون إلى حدٍّ لا ترحم الأمّ طفلها. فهو شكى من الوالد عنده لأنّ الوالد لم يكن يعلّمه طريقة العيش مع هؤلاء الأشخاص. قد رسم الشاعر وطناً مثاليّاً لنفسه فلذلك أصبح العيش في هذه الأوضاع له صعباً ومؤلماً.

ب/ ذكرى الأم

إنّ أجمل الكلمات في قاموس الخلق هي كلمة "الأمّ" فلا موسيقى في الكون أكثر لذةً من هذه الكلمة. إنّ الكلام يكون عاجزاً عن وصف هذه الكلمة والقلم غير كافٍ لها. فاروق جويدة يتذكّر أمّه في بعض قصائده مع الحسرة والأسف مثل الطفل الّذي يشتاق إلى حضن أمّه وهو قد تذكّر الذكريّات الطفوليّة وعبّر عن حنينه إليها. فهو قال في قصيدة: «كان لنا.. حنين» كذلك:

أماهُ.. ليتك تسمعينْ
لا شيءَ يا أمي هنا يدري حكايا.. الحائرينْ
كم عشتُ بعدَكِ شاحبَ الأعماقِ مرتجف الجبينْ ...
قد عشتُ بعدك كالطيورِ بلا رفيقْ ...
قد كان صدرُكِ كلُّ ما عانقتُ في دنيا الحنانْ ...
فلتذكريني كلما
همست عيونك بالدعاءْ [14]

إنّ جويدة يحنّ إلى أمّه كثيراً؛ كلّما يجري اسم الأمّ أو الأب على لسانه يشكو من الوقت الّذي يعيش فيه ويعبّر عن عدم رضاه. هو يحبّ أيّام طفولته لأنّه كان فارغاً عن كلّ صعوبات الحياة فما كان متذوّقاً بحلاوة الحياة ومرارتها. هو يتأوّه من المشاكل الموجودة في طريق حياته. وعلى الرغم من أنّ له طابعاً علمياً وثقافياً بارزاً في بلده، فهو يكون بعيداً عن الوصول إلى رغباتها.

3/ الحبّ والابتعاد عن الحبيب

الأشعار الوطنيّة التي لها صبغة سياسيّة تشكّل معظم أشعار الشاعر، ومن بعدها أشعاره الغراميّة أو الغزليّة التي لها المكانة الثانية في أشعاره من حيث الكثرة. في معظم أشعاره الغراميّة، هو يلجأ إلى الحبّ لينسى ألمه ومشاكله وليبقى في أحلامه الحلوة. فهو في بعض الأحيان يكون مؤلماً ومعنىً من عشيقته ونقض عهدها وخيانتها وهو يعتقد بأنّ الحبّ في هذا العصر ليس إلّا هوى فان. ويعتقد أنّه في هذا الوقت لا يوجد للحبّ الحقيقي مكان ولا يمكن أن ينمو في الأرض التي مملوءة من الدمار. إنّ الشاعر يتذكّر المعشوق في قصيدة: «بقايا أمنية..» ويتمنّى أن يكون مع الحبيبة مرة أخرى كما كانا في الماضي ويتكرّر معها الذكريّات الحلوة في تلك الحقبة:

مازال في قلبي بقايا.. أمنيةْ
أن نلتقي يوماً ويجمعنا.. الربيعْ
أن تنتهي أحزانُنا
أن تجمعَ الأقدارُ يوماً شملنا
فأنا ببعدِكِ أختنقْ..

بالرغم من هذا أحبك مثلما كنا.. وأكثرْ[15]

إنّ جويدة في معظم أشعاره يعتبر الأيّام السعيدة الماضية كفصل الربيع ويشبّه أيّام المشقّة والحزن بفصل الشتاء أو الخريف. هو يتذكّر أيّامه الماضية الرائعة متأسّفاً. إنّه متعب لابتعاده عن حبيبته فأصبح ضيق الخلق لا صبر له ومع ذلك، مع كلّ صعوبة الفراق والانفصال عن العشيقة إنّه لا يزال لم ينقص القليل من حبّه لها. وهو يلجأ من الظلام، المصاعب والارتباكات من وقته، التي تكون كالبحر المضطرب، إلى حبّه القديم الّذي كان معه منذ فترة طويلة من عالم طفولته. فهو يعدّ العشق كشاطئ النجاة لنفسه الّذي قد لجأ إليها. وهو يعتبر أفضل أيام حياته هي نفس الوقت الذي كان فيه المحبّة، والوقت الّذي كان كلّ شيء على ما يرام.

الشاعر في قصيدة أخرى باسم: «ليالي الخريف» يتحدّث عن الحبّ كذلك:

فالحبُّ وهمٌ ..

والقصورُ رمالُ

تعبتْ من الترحال كلُّ سفائني

فالحبُّ في الزمنِ الرديءِ .. ضلالُ [16]

جميع القصائد الغراميّة للشاعر يعكس حالاته النفسيّة والعقليّة. عندما يكون الشاعر سعيداً عن حبّه، فيعتبره الربيع، الفجر، والضوء، ولكن عندما يكون غير سعيد عن الحبّ، يسمّيه السراب والخريف، وهلمّ جرّا.

4/ النستولوجيّة السياسيّة

قام جويدة بكتابة مقالات سياسيّة عدة ضمن عنوان "هوامش حرة" في موقعه الإلكتروني المختص به وكذلك في جريدة "الأهرام" وقد سعى من هذا المنطلق إلى صحوة المجتمع العربي وتثقيفه. قد اهتمّ الجميع ولاسيّما الطبقة المثقّفة والمتعلّمة إلى موقف كلّ بلد وإنجازاته العلميّة من حيث الناحية الاقتصاديّة، السياسيّة، الثقافيّة. وجويدة أيضاً لم يخرج عن هذا المضمار.

ينظر الشاعر إلى ماضي الأمة العربية من مصر، لبنان، فلسطين والعراق بالحسرة والأسف فيذكر عظمتها بحسرة وتأسّف وينتقد من حكام بلاده وعلى رأسهم حسني مبارك. هو بالاستعانة من سلاح الفكر ولسانه المؤثر وشعوره المرهف أصبح من روّاد تيّار كان له

الأثر العظيم في ظهور ونشأة الثورات الأخيرة في البلاد العربية. فهو شاعر لم يأل جهداً -ولو لحظة- في سبيل تثقيف الناس في مصر وتوعيتهم والإفصاح حول الاستبداد الحاكم في سلطة حسني مبارك وقد تحدث الشاعر حول الظروف المأساوية الحاكمة في البلاد أيام سلطة مبارك وما قبل ذلك، وقد قام بتصوير آلام الناس ومآسيهم في عدة قصائد.[17]

الشاعر متفائل بمستقبل زاهر لبلده على الرغم من القصور والمحن المختلفة التي تعاني منه بلاده في قصيدة تحمل عنوان «الطقس.. هذا العام»:

الطَّقسُ هذا العاَم يُنْبئُني
بأنَّ شتاءَ أيامي طويلْ ...
ما عادَ لي زَمنٌ.. ولا بيْتٌ
فَكُلُّ شواطيء الأيّامِ
في عينيَّ.. نيلْ [18]

جويدة يعلم بأنّ بلده يعاني صعوبات كثيرة في هذه الأيام وشبّه هذه الصعوبات بشتاء طويل سلب منه أمنه وراحته؛ مع أنّ الشاعر يؤكّد بأنّ تحمّل سواد الدهر ومصائبه سيؤدّي لامحالة إلى مستقبل أفضل.

5/ نستولوجيّة ذكرى أيّام الشباب ومُضيّ العمر:

من بين جميع مراحل العمر، الشباب له أهمية كبيرة من جميع الجهات. أيّام الشباب الذي هو بمثابة ربيع العمر هو يكون الوصول إلى أعلى مراتب الحياة وأولاها مرتبة ومقاماً. في آية أربعة وخمسين من سورة روم المباركة، قد تمّ تقسيم الحياة في هذه الدنيا إلى ثلاثة مراحل تبدأ بعجز الإنسان وبين مرحلتي الطفولة والشيخوخة التي تكون مراحل العجز، تأتي مرحلة القوة والشباب.

الشباب مرحلة مهمة وقيّمة من مراحل حياة الإنسان. عمر الإنسان أهمّ ما يملك الإنسان من رأسمال وإذا ما يستثمر الإنسان هذه الفترة بشكل جيّد، يستطيع أن يهيّئ لنفسه مستقبلاً زاهراً.

قام الشاعر بتكرار كلمات "العمر" و"الموت" كثيراً جداً؛ فهو يصوّر لنا وصول فترة الخريف من العمر بحسرة وحزن:

يا للعمر وقت ضائع
عام مضى.. عامان.. عشر
لست أعرف كم مضى..
فالعمر في قدم الرياح
واللّيل يلتهم الصباح
أرفض أن أموتْ[19]

الشاعر حزين جداً على عمره الذي مضى سريعاً. فهو يرى بأنّ مُضيّ أعوام حياته، كهبوب نسيم لا يهتمّ به الناس حتى يصل إلى مرحلة الألم والشيخوخة وفترة الهرم. فهو يتحسّر على أيام شبابه وآماله الحلوة في تلك الأيام، فهو لم ينتبه إليها إلّا بعد فوات الأوان.

فقد قال في شعره المسمّى بـ «عندما ننتظر القطار»:

وذهبتِ أنتِ وعشتُ وحدي.. كالسجينْ
هذي سنين العمر ضاعت
وانتهى حلم السنينْ[20]

يشبّه جويدة فترة ابتعاده عن معشوقته بشخص تمّ حبسه في السجن، وضاقت عليه الدنيا ولا يجد ما يجعله هادئاً. لا يهمّه كيف يعيش. إنّه يرى السنوات التي كان بعيداً عن محبوبته، منتهى آماله وموت أحلامه الجميلة.

6/ فكرة الموت:

يمكن أن نعتبر الموت أهمّ موضوع يشترك فيه البشر في جميع الأزمنة والأمكنة والرقيب الوحيد للحياة. البشر في العصور المختلفة لطالما حاول التفكّر في الموت بشكل أو بآخر لمواجهته. كوننا نحن في هذا المقام نركّز على موت الإنسان، يرجع إلى أنّ موت الإنسان هو الموت الوحيد الذي يحدث عن وعي. فاروق جويدة يتحدّث في كثير من قصائده حول موضوع الموت ونهاية الحياة في الدنيا وهذا موضوع مأساويّ. فهو في قصيدته: «أريدك عمري» طرح هذا الموضوع بهذه الطريقة؛ الموضوع الذي يؤدّي إلى زوال جميع آمال الإنسان في هذا العالم:

هو الدَّهرُ يَبنى
قُصورَ الِرمالِ
وَيهدمُ بالموتِ.. ما شيَّدا
تَعالِيْ نُشُمُّ رَحيقَ السِّنين
فسوفَ نَراهُ رَماداً غَدَا[21]

نجد نظرة مملوءة بالحسرة لفاروق جويدة بالنسبة إلى حياة الدنيا. الحياة التي ليس لها الدوام والطول وبالطبع يأتي الموت في يوم من الأيام ويهدم بنيان أحلام الإنسان، من الممكن أن تكون هذه الفكرة مأخوذة من آيتي ستة وعشرين وسبعة وعشرين سورة الرحمن من القرآن الكريم التي تقول: ﴿كلُّ منْ عليها فان ويبقى وجه ربك ذي الجلال والإكرام﴾، فكثير من أشعاره لها صبغة دينيّة استقاها الشاعر من المفاهيم القرآنيّة.

7/ المثاليـــــة:

إنّ أمل وجود العالم المثالي، هدف شغل بال البشر منذ القديم ومجال الشعر من أهمّ المجالات التي يمكن أن يطرح هذا الأمل ويكشف عنه. إنّ الشعراء في أشعارهم يتحدّثون ويروون لنا عالماً يختلف عن العالم الحقيقي؛ فذلك العالم مملوء بالجمال وبعيد عن كلّ قبح. فنرى الشاعر يتكلّم بلغة الشعر حول أفكاره وآراءه، هذا ما يبين لنا مثاليته؛ أي هو معتقد بأنّ اللغة العادية لا تستطيع البوح بما يريد هو أن يرويه.

فاروق جويدة كذلك لايكون غريباً عن هذا المفهوم؛ خاصة أنّ أشعاره الرومانسيّة حافلة بالمثاليّة التي تشمل المدينة الفاضلة أيضاً وكذلك الحبّ، والعالم والمجتمع المثالي. لطالما كانت الحريّة والنجاة من ظلم الحاكم من المخاوف التي كانت تعتري الأدباء والمثقفين المعاصرين، وكلّ منهم سعى وقطع شوطاً من هذا الطريق، وللوصول إلى الحرية، تمّ مدح أنصار هذا الطريق.[22]

يشير جويدة في قصيدته: «وحدي على الطريق» إلى مكان يعيش فيه محباً للحياة، ويقصد من ذلك المكان، وطنه وهو يصرّ على توعية الناس وإيقاظهم من سباتهم العميق في طريقه، لعلّه يتمكّن من الوصول إلى هدفه ألا وهو تحقيق العدالة. لذا يكرّر هذه العبارة «ونظل نمضي.. في الطريقْ» عدة مرات للتأكيد والإصرار على أهدافه المتعالية. الشاعر في

هذه القصيدة الطويلة يكرّر عبارة «طريق»، عشر مرات، وهذه الكلمة، هي الطريق المثالي التي اتخذها لنفسه وهو آمل أن يكون بلده تلك البلاد التي يأملها.

سأودع الأرض التي
عشت الحياة أحبّها
كم كنت أحلم
أن يكون العش فيها.. والرفيق...
لا شيء يأوينا فكيف الحبّ يحيا في الدمار؟ [23]

يأمل فاروق جويدة أن يكون بلده مكاناً مثالياً حتّى يتمكّن من تحقيق حياة مثالية فيها. ولكن يتحدّث بحسرة وندم حول أيامه المنقضية التي لم يتمكّن من تحقّقها.

8/ نستولوجيّة تذكّر المجاهدين ودعاة التحرّر:

أ/ صلاح الدين الأيوبي:

صلاح الدين الأيوبي من أكراد العراق المسلمين الذي شملت قدرته أراضي مصر، الشام، شمال العراق، اليمن والحجاز وقد قام باتحاد الملة الإسلامية للغلبة والانتصار في الحروب الصليبية. يعدّ صلاح الدين الأيوبي من جملة المجاهدين الذين ذكرهم جويدة في أشعاره. جويدة ما كان راضياً عن حكّام البلاد العربيّة وخاصة بلده، وقد قدّم شكوى هذه الظروف إلى صلاح الدين الأيوبي في قصيدته الطويلة: «رسالة إلي صلاح الدين» وقد شرح له الأوضاع الحالية وهو يصيح لهذا الأمر:

يا سيّدي.. فَلأعْترفْ ...
وبأن أشباه الرجال تحكموا...
ان الأسُودَ تموتُ حزناً
عندما تتحكم الفئرانْ ...

يعتبرهم أناساً غير مؤهلين لحلّ المشاكل التي تعتري بلادهم. لا شكّ في أنّ تكرار عبارة «أشباه الرجال» يكون لتحقير حكّام بلده وهذا يظهر قمة الذلة التي ابتلي بها الحكّام فهم يفتقدون الخصوصيات الرجوليّة وهم فقط أشباه الرجال ولا أكثر.

ب/ نلسون ماندلا:

إنّه قضى سبعة وعشرين عاماً من عمره في النظام التمييز العنصري في أفريقيا الجنوبيّـة مسجونـتاً ولكن بعد ذلك اختير كـأوّل رئيس للجمهورية من ذوي العروق السوداء وحصل كذلك على جائزة نوبل للسلام. والحريّة من قيود العنصريّة كانت القبلة بالنسبة إلى ماندلا، فهو تحمل الصعوبات الكثيرة لنيل أهدافه السامية وقد ذكره فاروق جويده في بعض اشعاره:

إنّي سأقْتلُ
كُلَّ فِئرانِ الحَديقةِ .. واللُّصُوصِ
وَمَنْ أضاعُوا هَيْبَتِي
وداسوُا ضَوءَ عيني واسْتَباحُوا أمَّتِي[24]

9/ نستولوجيّة القيم والتقاليد الماضية:

إنّ النستولوجيّة من المفاهيم الجديدة في العصر الحديث، يمكن اعتبارها نتيجةً لنكسات المفكّرين بالنسبة إلى الحياة التقنية والحديثة وحسرةً بالنسبة إلى القيم والتقاليد الماضية التي ذهب رونقها وضياءها. من هذا المنطلق، العصر الحديث وظروفه المختلفة يمكـن أن يكـون نتيجةً لانعدام النظم بالنسبة إلى بعض القيم السامية في المجتمع البشري. انعكاس هذه الواقعة في الأدب المعاصر تتمظهر في أنّ الأديب المعاصر بتصويره للظروف الحالية التي تصحبها حسرة دامية، يحاول أن يصيح بالقيم والمعايير والاخلاقية التي لم يعد لها مكانة.

إنّ الشاعر في قصيدة تحمل عنوان «رسالة إلى سلمان رشدي» يشير إلى خوف المسلمين وعدم اعتنائهم بالنسبة إلى إهانات هذا المرتد وإساءاته. فهو يذكر أكثر العظماء في صدر الإسلام، الذين تحمّلوا العذاب والحزن للحصول على العظمة والمجد. يعبّر عن القلق، الحزن والألم الذي كانوا عليه مع الظروف الراهنة لدين الإسلام وينشد في هذا الشأن:

فاكْتُبْ مَا شئْتَ ولا تَخْجلْ
فَالكُلُّ مُهانٌ .. وجَبَانْ
خَبّرني يَوماً ..
حينَ تُفيقُ مِنَ الهَذَيَانْ

هَلْ هَذا حقُّ الفنَّانْ .. ؟
أن تُشْعِلَ حِقْدَكَ فِي الإنجيلِ
وتَغْرسَ سُمَّكَ في القُرآنْ [25]

إنّ جويدة يرى بأنّ المسلمين قد أصابهم الخزي وهم جبناء لأنّهم ابتعدوا عن القيم الأساسيّة لدين الإسلام مثل الشجاعة والقوة والمعتقدات الدينيّة. الشاعر يعتقد بأنّ سلمان رشدي ملحد؛ لأنّنا لا نجد ديناً يسمح لأنصاره بالإهانة إلى مقدّسات سائر الأديان.

النتيجــة:

بدراسة أشعار فاروق جويدة وصلنا إلى النتائج التالية:

من أهم مظاهر النستولوجية في قصائد فاروق جويدة يمكن الإشارة إلى ذكرى الذكريات السعيدة الماضية والحبّ والابتعاد عن المعشوق والمدينة المثاليّة والنستولوجيّة السياسيّة والحنين إلى الشيخوخة وهلمّ جرّا. والحب والوطن هما من أبرز وأكثر موضوعات النستولوجيّة الجديرة بالملاحظة في قصائده. هو يبدو أحياناً عاشقاً ومولعاً لعشيقته ويبدو أحياناً قوميّاً إسلاميّاً يعاني عن معاناة الوطن. الشاعر يعاني من عدم الاستقرار السياسي والاجتماعي والاقتصادي في مجتمعه وجميع البلدان العربية، ويرى بأنّ الحكّام غير لائقين وغير مؤهّلين وهم العامل الرئيسي للفقر في المجتمع. هو كمصلح يستعين بقلمه المعبّر لكي يطلب من الناس الوقوف في مواجهة الحكّام المستبدين ومقاومتهم. هو يذكر عدة بلاد عربيّة كلبنان والعراق و.. ويطرح قضية فلسطين وتحرير الأقصى الشريف، كأنّه عاش في هذه البلاد منذ نعومة أظفاره وأحسّ صعوباتها ومآسيها بلحمه ودمه.

الشاعر يذكر عدداً كبيراً من أحرار العالم والمجاهدين العظماء ويبيّن أهدافهم السامية ويحرّض المصريين ويحثّهم على القيام والثورة ضدّ الحكومة. هو أديب وناقد يهتمّ ويُشرف على جميع مسائل المجتمع. يتذكّر القيم الماضية وهو حزين وممتعض لعدم الانتباه إليها من قبل الناس. إنّ أشعار الشاعر تكون بلسان بليغ وصريح وبسيط، وهو لا يتجاوز عن هذا الأسلوب إلّا عندما يتكلّم عن أوضاع وطنه والبلاد العربيّة، يتّخذ لساناً حادّاً، صريحاً ودقيقاً في حين يتكلم عن عقائده وآرائه.

المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم.
- _____، ألف وجه للقمر، الطبعة الأولى، القاهرة: دار غريب للنشر والتوزيع، 1996م.
- _____، زمان القهر علّمني، لا طبعة، القاهرة: دار غريب للنشر والتوزيع، لا تا.
- _____، كانت لنا أوطان، الطبعة الثانية، القاهرة: دار غريب للنشر والتوزيع، 1997م.
- ابريشمى، عبدالله، نقد و بررسى ناسيوناليسم، ج1، نشر نگارنده تهران، 1373ش.
- آشوري، داريوش، فرهنگ علوم انساني، تهران: مركز، 1381ش.
- جويدة، فاروق، المجموعة الكاملة، ط3، القاهره: مركز الأهرام التجارية للترجمة والنشر، 1991 م.
- خليفه، بسمه، الحنين والألم في الشعر الأندلسي، الطبعة الأولى، بيروت: دار النهضه العربيه، 2011 م.
- شريفيان، مهدي، «بررسي فرآيند نوستالژي در شعر معاصر فارسي»، كاوش نامه، سنة السابع، رقم 12، 1385ش، ص ص 33 – 52.
- صابري، على و الهه رازقي، « بررسي تطبيقي ديدگاه‌هاي بهار و شوقي» مجلة مطالعات ادبيات تطبيقى، سال 6، شماره 22، 1391 ش، ص ص 9-26.
- صيادي، روح الله، حسن پور، مهوش، « نوستالژي در سروده‌هاي نازک الملائكه»، مجلة دُردَرى(ادبيات غنايى، عرفانى)، جامعة نجف‌آباد، السنة الثانية، رقم 4، خريف 1391، ص ص 77-92
- قائمي، مرتضي وزملائه، «مضامين تعهد ادبي در اشعار فاروق جويده»، مجله ادب عربي، جامعة تهران، رقم 2، سنة 6، 1392ش، ص ص 201-222.
- ناصيف، اميل، أروع ما قيل فى الوطنيات، ط1، بيروت: دار الجيل، 1992م.
- نظري، نجمه؛ كوليوند، فاطمه، «بررسي نوستالژي در شعر حميد مصدق»، مجلة ادب و زبان، سنة14، جامعة شهيد باهنر كرمان، رقم 46، 1389 ش، ص ص 1-18.

المواقع الإلكترونية:

- www.wikipedia.com
- www.goweda.com

الهوامــش:

[1]. ويكي پديا / فاروق جويده.

[2]. جويده، www.goweda.com

[3]. آشوري، فرهنگ علوم انساني، مادة نوستالژي.

[4]. نفس المصدر.

[5]. انوشه، فرهنگ‌نامه ادبي فارسي، 6.

[6]. شريفيان، بررسي فرآيندهاي نوستالژي در شعر معاصر فارسي، 35.

[7] . خليفه، الحنين والألم في الشعر الأندلسي، 506.

[8] . نظري و كوليوند، بررسي نوستالژي در شعر حميد مصدق، 5.

[9]. جويدة، الف وجه للقمر، 115- 116.

[10]. ابريشمي، نقد و بررسي ناسيوناليسم، 57-56.

[11]. ناصيف، أروع ما قيل في الوطنيات، 9.

[12]. صيادي و حسن پور، نوستالژي در سروده‌هاي نازک الملائكه، 89.

[13]. نفس المصدر، 83 – 85.

[14]. جويدة، المجموعة الكاملة، 167- 169

[15]. جويدة، المجموعة الكاملة، 19.

[16]. جويدة، كانت لنا أوطان، 118-119

[17] . قائمي والآخرون، مضامين تعهد ادبي در اشعار فاروق جويده، 207.

[18]. جويدة، زمان القهر علمني، 40-42.

[19]. جويدة، المجموعة الكاملة، 262-264.

[20]. نفس المصدر، 8.

[21]. جويدة، زمان القهر علمني، 11

[22]. صابري، رازقي، بررسي تطبيقي ديدگاه‌هاي بهار و شوقي، 15

[23]. جويدة، المجموعة الكاملة، 36-37

[24]. جويدة، كانت لنا أوطان، 130 – 132

[25]. جويدة، كانت لنا أوطان، 66 – 67